المحاضرة العاشرة

1. نظرية الحتمية القيمية:

تنسب هذه النظرية إلى إسهامات الباحث الجزائري عبد الرحمن عزي في مجال علوم الاتصال والإعلام، والتي بدأت منذ عام 1985. يُعد تأسيس نظرية القيم الحتمية للإعلام (VDT) نتيجة مباشرة لأولى دراسات عزي التالية:

- تدفق المعلومات: الأطر والتأصيل التاريخي.
- إشكالية البحث في منهجية البحث: إعادة نظر في نموذج هارولد لاسويل.
- الرأي العام، العصبية والشورى.
- الواقع والخيال في ثنائية الإعلام.
- الرقابة الاجتماعية في غرفة الأخبار: دراسة حالة.
- علم الاجتماع الظاهراتي: حول تأملات واجنر في شوتز (باللغة الإنجليزية).
- التنمية: الكفاءة الأخلاقية في عصر المعلومات (باللغة الإنجليزية).
- الإسلام في الفضاء الإلكتروني: الوجود الإسلامي على الإنترنت (باللغة الإنجليزية).
- الأخبار عبر الثقافات: دراسة مقارنة بين صحيفتين أمريكيتين وصحيفتين جزائريتين (باللغة الإنجليزية).
- الفكر الاجتماعي المعاصر وظاهرة الاتصال: بعض الاعتبارات الثقافية (باللغة الإنجليزية).
- الإعلام الإسلامي: تراجع الرسالة في عصر الإعلام.

اتضح من هذه الدراسات الأولية أن هناك بعد قيمي يظهر في الدراسات الإعلامية لم يكن مألوفًا أو معترفًا به قبل عام 1985، وهو بعد القيم الإعلامية في الدراسات الإعلامية، على غرار الحتمية القيمية للدراسات الإعلامية. انخرط عزي في دراسة ظاهرة الإعلام في المنطقة العربية استنادًا إلى الفكر الاجتماعي المعاصر في القرن العشرين (البنيوية والتفاعلية الرمزية والظاهراتية التأويلية). كما أنه لأول مرة، أصبح الانشغال بعلوم الإعلام مصحوبًا بالتراث العربي الإسلامي والعلماء المسلمين المعاصرين. كان اهتمام عزي بهذه الخلفيات المنهجية والمعرفية ... وغيرها من الخلفيات التي شكلت نظرية القيم الحتمية للإعلام[1].

---

[1] - Nassir Bouali, Alaa Makki, How to Read and Understand the Value Determinism Theory of the media1? A semantic Structural Approach, International Journal of English Literature and Social Sciences Vol 6, Issue-2, Mar-Apr, 2021, p113-115.

لقد مهدت هذه النظرية (VDT) الطريق لدراسات أخرى تندرج في نفس السياق وتتجاوز أو تخرج عن النهج المعتاد في دراسات الإعلام العربية.

كتب عزي عن الإعلام والبعد الثقافي وكيف تتبدد القيم تحت الحضارة البصرية أو صورة. كما كتب عن الثقافة والحتمية القيمية للاتصال. علاوة على ذلك، كتب عن ثقافة الطلبة والوعي الحضاري، وعن تدريب الصحافة، وحلل العلاقة بين الإعلام وتفكك القيم في المنطقة العربية الإسلامية، وكتب عن الإسلام في الفضاء الإلكتروني (الوجود الإسلامي على الإنترنت). وفي مجال تاريخ الإعلام، وصف الصحافة في المغرب الكبير قديما وحديثا.

قدم عزي أيضًا مساهمات في مجال أخلاقيات وسائل التواصل الاجتماعي. انضمت إلى النظرية مجموعة من الباحثين من العالم العربي ومن الجزائر بشكل خاص، وأصبحت النظرية عالمية في منهجيتها ومفاهيمها.

هناك نظريتان معياريتان متشابهتان مع نظرية القيم الحتمية للإعلام :(VDT) الأولى هي المسؤولية الاجتماعية للإعلام، والثانية أخلاقيات الإعلام الجماعية. تركز هاتان النظريتان على ما ينبغي أن تكون عليه وسائل الإعلام، بطريقة واضحة تندد بأي ابتعاد عن "القاعدة" أو تسعى لتعزيزها. بعبارة أخرى، تسمح هاتان النظريتان بالتقييم الأخلاقي للأشخاص وأفعالهم وفقًا لمعايير العدالة والخير. أما في نظرية القيم الحتمية للإعلام، فتعني كلمة "القاعدة" "القيمة" التي تأتي من الدين.

من وجهة النظر هذه، يجب قراءة نظرية القيم الحتمية للإعلام (VDT) بعناية، وقد جادلنا بأن المنهج البنيوي هو المفتاح لفهم هذه النظرية. تشمل نظرية القيم الحتمية للإعلام العناصر التالية:

- أولًا: علوم الإعلام والاتصال كتخصص.
- ثانيًا: الفكر الاجتماعي المعاصر في القرن العشرين كثقافة عامة.
- ثالثًا: التراث العربي الإسلامي كهوية.
- رابعًا: نص القرآن الكريم لفهم ظاهرة الإعلام من منظور روحي.

من الضروري الآن العودة إلى مفاتيح قراءة وفهم نظرية القيم الحتمية للإعلام بناءً على هذا المنهج البنيوي وفقًا للمحاور التالية. سيتم شرح هذه المحاور أدناه:

أولوية النظرية

بموجب بنية نظرية القيم الحتمية للإعلام(VDT) ، يُعد النظر إلى الكل أو "المجمل" ضرورة .هذه الخاصية تنتج مبدأً منهجيًا يتمثل في النظرة الشمولية للموضوع، أي أن نظرية القيم الحتمية للإعلام يجب فهمها كتكتل أو كتلة واحدة .وعليه، فإن القارئ المهتم بالنظرية يتطلب منطقيا أولوية الكل (النظرية) على أجزائها.

لا يمكن فهم نظرية عزي دون قراءة جميع أعماله أو دراساته، ومن الضروري قضاء الكثير من الوقت في قراءة دراساته وأبحاثه في المجال حتى يتضح منظور النظرية .(VDT) تتجلى نظرية القيم الحتمية للإعلام من خلال المنظور وعناصره.

استند كلود ليفي ستروس إلى هذا المبدأ في تحليله في كتابه[2] "بنية القرابة الأساسية" (بالفرنسية : Les Structures élémentaires de la parenté).حيث رأى ليفي ستروس أن أنظمة القرابة مجرد مجمعات تخضع لمبدأ أولوية الكل على الأجزاء.

من هذه الفكرة، تُعد نظرية القيم الحتمية للإعلام مركبًا من دراسات وأبحاث عزي في علوم الإعلام والفكر الفلسفي المعاصر والتراث وغيرها. يزيد عدد هذه الدراسات على الخمسين، وتنطلق جميعها تقريبًا من إشكالية واحدة، وهي كيفية التعامل مع ظاهرة الإعلام انطلاقًا من القيم.

في الواقع، كتب عزي دراسة واحدة من منظور واحد له جوانب متعددة، وانطلق من إشكالية يمكن التعبير عنها مجازيًا هنا بالسؤال التالي: هل تكمن مشكلة إعلامنا في غياب القيمة ويكون الحل من خلال عودة القيمة؟

يركز عزي على "القيمة" المحددة المتأصلة أو المضمنة في الرسالة ومحتوى الرسالة. وفي هذا الصدد، يطور عزي أفكار مارشال ماكلوهان، من "المضمون هو الوسيلة" إلى "الرسالة هي القيمة".

يصف نهج عزي عملية الاتصال ويركز على التطبيق المحتمل للرسالة كحامل للقيم الثقافية والاجتماعية التي تساعد الفرد والمجتمع على تعزيز آدابهما العامة الأخلاقية والمدنية، محليًا ودوليًا. وهذا ما ينبغي أن ينعكس إيجابًا على كينونة الفرد المادية وغير المادية.

إذا كان مارشال ماكلوهان يهدف إلى شرح تطور مجتمعه، فإن عزي أيضًا يهدف إلى شرح مجتمعه من خلال نظرية القيم الحتمية. يوصلني هذا إلى ما يلي، أن مفهوم النسبية الثقافية ومفهوم النظرية المعيارية مهمان للغاية ومهمين، خاصة في بعض الدراسات والأبحاث المقارنة. يتضح ذلك من خلال أعمال كل من ماكلوهان

[2] - - Nassir Bouali, Alaa Makki, How to Read and Understand the Value Determinism Theory of the media1? A semantic Structural Approach, International Journal of English Literature and Social Sciences Vol 6, Issue-2, Mar-Apr, 2021, p113-115.

وعزي، حيث يجب أن تأخذ نظرية ودراسة الاتصال الجماهيري بعين الاعتبار عوامل النسبية الثقافية والاجتماعية وكذلك النظريات المعيارية.

يجب أن تستند نظرية وممارسة وسائل الإعلام الجماهيري إلى تلك العوامل المحددة ثقافيًا وتاريخيًا واجتماعيًا وكذلك على الخصائص المحددة ماديا وغير ماديا للمجتمع. لذلك، تتحدد الرسالة أكثر بقيمتها وليس بالوسيلة التي تنقلها، وبالتالي "الرسالة هي القيمة".

مشكلة الإعلام هي المتغير التابع الذي يمكن أن يحدث عليه التأثير، والقيمة هي المتغير المستقل الرئيسي الذي ينتج عنه التأثير (النتيجة) سلبًا أو إيجابًا. وفي هذا الصدد، فإن السؤال هو كيف يمكننا مقاربة الإعلام أو إبعاده عن القيمة؟

يمكن تصنيف أبحاث عزي حول قيمة الإعلام على أنها تنتمي إلى مجالات الفكر الاجتماعي المعاصر والصحافة والاتصال الجماهيري والعلاقات العامة وتكنولوجيا الاتصال وتدريب الصحافة ونظريات الاتصال وأبحاث الاتصال وأخلاقيات الإعلام ودراسات الشخصيات من منظور القيمة (مثل "بديع الزمان النورسي" و "محمد البشير الإبراهيمي"و "صن تزو" و "أبو حامد الغزالي"...) بالإضافة إلى ترجماتها المختلفة. بالإضافة إلى ذلك، لديه العديد من الكتب وما كُتب عن مساهماته ونظرية القيم الخاصة به. تمثل دراسات عزي عناصر ضمن جميع المجالات السابقة (الوحدات). تساهم هذه المجالات في تشكيل نظرية القيم الحتمية للإعلام .(VDT) إن نظرية القيم الحتمية للإعلام هي سياق تكوين هذه الوحدات.

أكد جودوليه على هذه المبدأ قائلاً إن الجزء مشروط كليًا بالكل[3]، من هنا، يمكن القول إن منظور فهم القيم الحتمية للإعلام يعتمد على مبدأ أو مقاربة الكل وليس مبدأ الجزئية. قد يساعد هذا المبدأ الأخير ليس فقط على فهم بعض دراسات عزي، صاحب النظرية، جزئيًا، ولكنه لا يساعدنا على فهم النظرية كمبنى متكامل وسياق متناغم.

أولوية علاقة النظرية:

يرتبط مفهوم البنية بمفهوم العلاقة داخل سياق تكويني. لا يهتم البنيوية بالأحداث أو الكلمات المعزولة، بل بالعلاقة القائمة بين تلك الأحداث أو الكلمات. علاوة على ذلك، لا يمكن اعتبار نظرية القيم الحتمية للإعلام مجرد دراسات منفصلة ومستقلة عن بعضها البعض، بل من الضروري رؤية العلاقة بين هذه الدراسات. تصبح

---

[3] - Nassir Bouali, Alaa Makki, How to Read and Understand the Value Determinism Theory of the media1? A semantic Structural Approach, International Journal of English Literature and Social Sciences Vol 6, Issue-2, Mar-Apr, 2021, p113-117.

نظرية القيم الحتمية للإعلام أكثر وضوحًا كلما نظرنا عن كثب إلى الروابط التي تربط مساهمات عزي. لذلك، فإن معرفة العلاقة بين دراسات عزي ضرورية لفهم معاني النظرية.

لقد أشرنا سابقًا في دراسة سابقة إلى أن دراسات عزي عبارة عن سلسلة من الحلقات المترابطة، وهناك خيط رفيع المستوى يربط بين كل هذه الحلقات، وهذا الخيط هو النزعة الحضارية المليئة بالفكر والإدراكات المتعالية. على سبيل المثال، تربط تلك العلاقات أجزاء من النظرية وتجعلها متماسكة. يمكن للقارئ الجيد أن يلاحظ، على سبيل المثال، أن "أهمية الخبر" في معالجة الصحافة تُشكل مفهومًا للعلاقة بين أبحاثه التالية: "تدفق المعلومات: الأطر المرجعية والتأصيل التاريخي"، "الرقابة الاجتماعية في غرفة الأخبار"، "الأخبار عبر الثقافات"، "الإعلام العربي، قراءة تقييمية لنظرية ويليام روغ"، "في الرمز، الصحافة وعلم العلامات"، و "الصحافة العربية المغاربية" ... ترتبط هذه الدراسات ببعضها البعض من خلال إعطاء أهمية للأخبار التي تقدم المعلومات وتفصل الأخبار عن الرأي، وتركيز عزي على أهمية المعلومات في الممارسة الصحفية.

تتعلق دراسات نظرية القيم الحتمية للإعلام التي تهتم بـ "الرسالة" كعلاقة بهذه الدراسات على التوالي: "أزمة الرسالة في النظام الإعلامي الجزائري"، "ثقافة الطلبة، الوعي الحضاري والاتصال"، "الاتصال والعالم القروي: أزمة الرسالة"، "تأثير الإعلام على نظام القيم في المجتمع الريفي المتوسط"، و "الوسائط المتعددة والمناهج الاتصالية: الوسيلة مقابل الرسالة"، إلخ. يعد التدريس في مجال الإعلام كعلاقة بين دراستين مهمتين هما: "تدريس الإعلام، قضايا ومناهج"، و"تدريب الصحفيين العرب."

يظهر مفهوم العلاقة جليًا في دراسات أخرى تتعلق بالقضايا الإعلامية العربية، مثل "الإسلام في الفضاء الإلكتروني: الوجود الإسلامي على الإنترنت"[4]، و"الإعلام الإسلامي: تراجع الرسالة في عصر الإعلام."

من خلال فهم العلاقات بين دراسات عزي، يمكننا استنتاج أن هناك رابطًا يربط هذه الدراسات مع بعضها البعض، مما يجعل من نظرية القيم الحتمية للإعلام هيكلًا متماسكًا ومنظومة متكاملة.

يوضح عبد الرحمن عزي في دراستين من دراساته علاقة التقارب والإلغاء بين الوسيلة والرسالة. الدراسة الأولى بعنوان "التقارب والإلغاء بين الوسيلة والرسالة: دراسة تطبيقية على عينة من طلبة قسم علوم الاتصال بجامعة الجزائر 1"، والدراسة الثانية بعنوان "علوم الاتصال والأبعاد القيمية: دراسة حالة تحليل محتوى للمقررات التي يدرسها طلبة نفس القسم".

---

[4] - Nassir Bouali, Alaa Makki, How to Read and Understand the Value Determinism Theory of the media1? A semantic Structural Approach, International Journal of English Literature and Social Sciences Vol 6, Issue-2, Mar-Apr, 2021, p113-117.

توصلت الدراستان إلى أن البرامج والمقررات الدراسية في هذا القسم لا تعمل على تعزيز قيم الطلبة بل على تشويهها، وذلك لأن مفردات المقررات الدراسية ليست سياقية كما أنها بعيدة عن خصوصيات التكوين. بالإضافة إلى ذلك، هناك غياب للعلاقة التفاعلية في مكونات المقررات والبرامج الدراسية بين الأهداف والرسالة والرؤية.

يظهر مفهوم القيمة جليًا في أبحاث عزي حول الفكر الاجتماعي المعاصر في القرن العشرين. تتجلى نظرية القيم الحتمية للإعلام كفعل أو فكرة رئيسية في القرن العشرين تتطلب الأساس في دراسته "الواقع والخيال في الثنائية الإعلامية"، وتظهر علامات عديدة لنظرية القيم الحتمية في الدراسات التالية: "النظريات الاجتماعية في القرن العشرين وانعكاسات لابن خلدون "ما بعد البنيوية والثقافات العربية"؛ "المدرسة الظاهراتية والحيز العربي" ؛ "الإعلام الإسلامي: تراجع الرسالة في عصر الإعلام" ؛ "التفاعلية الرمزية وحقيقة الحياة الرمزية العربية" ؛ "التحليلات التأويلية والبنية المؤسسية العربية" إلخ.

في كتابه "دراسات في نظرية الاتصال: نحو فكر متميز في الاتصال" (باللغة العربية)، يقدمنا عزي على مفاهيم جديدة غير معروفة أو غير مألوفة في دراسات الإعلام مثل: الخيال الإعلامي، والموقع الإعلامي، والزمن الإعلامي، والخوف الإعلامي، ورأس المال الرمزي الإعلامي، والتأثير البيولوجي للإعلام، والسمع والبصر وحقيقة الاتصال، وعنف الخطاب وغيرها.

كما نلاحظ أن واجبات المهنة أو الأخلاق تشكل علاقة بين الدراسات التالية: "قانون الإعلام والأخلاقيات في سياق وسائل التواصل الاجتماعي: قراءات في النظام القيمي" ؛ "نظرية الواجب الأخلاقي في الممارسة الإعلامية" ؛ "أخلاقيات صحافة الرأي: قراءات في نظرية نورس عن صفات الله"[5].

وفي أحدث الأبحاث حول النظرية، نجد القيمة كمتغير تابع في الدراسة التالية: "آثارولوجيا الفكر الاتصالي القيمي: قراءات في مالك بن نبي والورثيلاني وبديع الزمان النورسي وصن تزو".

الآن أصبحت نظرية القيم الحتمية للإعلام (VDT) مرتبطة بمجموعة من الباحثين في العالم العربي والإسلامي وتمثل مدرسة علمية لها خلفية معرفية خاصة بها، كما تمثل قطيعة معرفية مع السياقات والمفاهيم القديمة في مجال دراسات الإعلام.

2. نظرية توهم المعرفة:

---

[5] - Nassir Bouali, Alaa Makki, How to Read and Understand the Value Determinism Theory of the media1? A semantic Structural Approach, International Journal of English Literature and Social Sciences Vol 6, Issue-2, Mar-Apr, 2021, p113-117.

ظهرت أولى الأفكار المتعلقة بنظرية توهم المعرفة في أواخر القرن التاسع عشر مع علماء النفس مثل نورمان لاندو (Norman Landa) و ويليام جيمس (William James)، وركز هؤلاء العلماء على دراسة ظاهرة التحيز التأكيدي، أي ميل الأشخاص إلى البحث عن المعلومات التي تؤكد معتقداتهم الموجودة مسبقًا، بينما يتجاهلون المعلومات التي تتناقض معها.

في أوائل القرن العشرين، واصل علماء النفس مثل دانييل كانيمان (Daniel Kahneman) و عاموس تفيرسكي (Amos Tversky) تطوير نظرية توهم المعرفة في أوائل القرن العشرين، حيث حدد هؤلاء العلماء العديد من الاختصارات العقلية (cognitive biases) التي يمكن أن تؤدي إلى توهم المعرفة، مثل التوافر (availability) و التمثيلية (representativeness). كما شهد القرن الحادي والعشرين اهتمامًا متزايدًا بنظرية توهم المعرفة، خاصة مع ظهور الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وأظهرت الأبحاث أن هذه المنصات يمكن أن تُعزز توهم المعرفة من خلال فقاعات المعلومات (information bubbles) و انتشار المعلومات المضللة (misinformation).

لعبت نظرية توهم المعرفة دورًا هامًا في مجال الإعلام والاتصال، حيث يمكن أن تؤثر على كيفية استهلاك الناس للمعلومات وتفاعلهم معها، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

- التحيز التأكيدي : يميل الناس إلى البحث عن المعلومات التي تؤكد معتقداتهم الموجودة مسبقًا، بينما يتجاهلون المعلومات التي تتناقض معها.
- فقاعة المعلومات : يحيط الناس أنفسهم بمصادر المعلومات التي تتوافق مع آرائهم، مما يعزز تحيزاتهم ويقلل من انفتاحهم على وجهات نظر مختلفة.
- انتشار المعلومات المضللة : يميل الناس إلى تصديق المعلومات التي تتوافق مع معتقداتهم، حتى لو كانت خاطئة، مما قد يؤدي إلى انتشار المعلومات المضللة.

كيف يمكن للتكنولوجيا أن تساهم في نظرية توهم المعرفة:

- خوارزميات التوصية : تُظهر خوارزميات التوصية للمستخدمين محتوى يتوافق مع اهتماماتهم السابقة، مما قد يعزز تحيزاتهم ويقلل من تعرضهم لوجهات نظر مختلفة.
- غرف الصدى :توفر منصات التواصل الاجتماعي مساحات للأشخاص للتفاعل فقط مع أولئك الذين يشاركونهم نفس الآراء، مما قد يعزز تحيزاتهم ويقلل من انفتاحهم على وجهات نظر مختلفة.

ما الذي يمكن فعله لتقليل تأثير نظرية توهم المعرفة:

- التثقيف الإعلامي: حيث يجب تعليم الناس كيفية تقييم موثوقية المعلومات ومصدرها، كما يجب تشجيع الناس على التفكير النقدي في المعلومات التي يتعرضون لها.

- التنوع في وسائل الإعلام: يجب أن تسعى وسائل الإعلام إلى تقديم وجهات نظر متنوعة في تغطيتها للأحداث، وأيضا، يجب أن تُظهر وسائل الإعلام الأشخاص من مختلف الخلفيات والخبرات.

- التصميم المسؤول للتكنولوجيا: يجب تصميم خوارزميات التوصية لتقديم محتوى متنوع للمستخدمين، كما يجب تصميم منصات التواصل الاجتماعي لتعزيز التفاعل بين الأشخاص ذوي الآراء المختلفة.

قائمة المراجع (المحاضرة العاشرة):

1.Nassir Bouali, Alaa Makki, How to Read and Understand the Value Determinism Theory of the media1? A semantic Structural Approach, International Journal of English Literature and Social Sciences Vol 6, Issue-2, Mar-Apr, 2021, p113-115.

2.Nassir Bouali, Alaa Makki, How to Read and Understand the Value Determinism Theory of the media1? A semantic Structural Approach, International Journal of English Literature and Social Sciences Vol 6, Issue-2, Mar-Apr, 2021, p113-115.